الشهيد سبي ... ذكريات وخواطر .. محمد سعيد ناود

حررها : محي الدين علي

" أبو الإصرار " هو اللقب المحبب الذي كان يطلقه الشهيد عثمان سبي على صديقه ورفيقه محمد سعيد ناود ، ولايعلم بهذا اللقب سوى المقربين من تلك الدائرة الضيقة التي كانت تجمع أقرب الناس إليهم ، وفي مكتبة المناضل محمد سعيد ناود ، هناك أعدادا من الكتب وعليها الأهداءات بقلم الشهيد سبي " لأبو الإصرار" صديقه الوفي .

يعود تاريخ العلاقة والصداقة التي جمعت بين الرجلين إلى نهايات العام **1969** ، وكلاهما كانا في مواقع قيادية منذ وقت مبكر تعود لسنوات طويلة إلى الوراء وان اختلفت المواقع ، فالشهيد سبي من المؤسسين الأوائل لجبهة التحرير الإرترية في مطلع الستينات ، والمناضل محمد سعيد ناود هو مؤسس وقائد حركة تحرير إرتريا في العام **1958**م ، وبرغم احتدام الصراع بين التنظيمين والخلافات العميقة بينهم التي وصلت إلى حد التصفية العسكرية لمجموعة الحركة المسلحة في منطقة "عيلا طعدا" من قبل جبهة تحرير إرتريا بحجة أن الساحة الإرترية تضيق بتنظيمين ، برغم ذلك لم تتح الفرصة للقاء الرجلين إلا عندما بدأت الخلافات تدب في أوساط جبهة تحرير إرتريا وذلك في نهاية الستينات ، وفي هذا الإطار يقول المناضل محمد سعيد ناود : ((وقد كان سبي أحد أعضاء المجلس الأعلى لجبهة التحرير الإرترية ثم سكرتيراً لعلاقاتها الخارجية ، وكان رحمه الله ومع غيره من قيادة " جبهة تحرير إرتريا " متطرفاً في خلافه وخصومته لحركة تحرير إرتريا .

وأثناء ذلك الخلاف والذي دام لعشرة أعوام لم نلتق ولو لمرة واحدة ، ولم نتعرف على بعضنا البعض إلا في عهد " قوات التحرير الشعبية ")) .

ويضيف المناضل ناود : ((فالانقسام الذي جرى في صفوف جبهة تحرير ارتريا لم يكن وليد لحظة بل انه كان تراكما لعدد من السنين ، كنتيجة صراعات ومنافسات بدأت في قمة التنظيم وانتشرت إلى الكوادر الوسطية ووصلت أخيراً إلى القواعد . وان ذلك الانقسام شمل الداخل والخارج على حد سواء . وقد كانت محور ذلك الانشقاق وفي مراحله الأخيرة هي " القيادة العامة " والتي تمكنت من السيطرة على الميدان العسكري وكانت تقف الى جانبها معظم القيادات والكوادر والقواعد العسكرية)) .

وعن خلفية الشهيد سبي ، حول مولده ونشأته ودراسته يقول المناضل ناود : ((ولد عثمان صالح سبي في قرية " حرقيقو " وذلك في عام **1931**م . وألتحق بمدرسة حرقيقو التي افتتحت سنة **1944**م وذلك على حساب المحسن الكبير صالح باشا أحمد كيكيا والذي كان من الأثرياء المرموقين في ذلك الزمان ، وكان مهتماً بالتعليم حيث أفتتح فصولاً للبنين والبنات في تلك المدرسة . كما أفتتح بها قسماً صناعياً . وفي هذه المدرسة فأن عثمان صالح سبي درس المرحلتين الأولية والمتوسطة . وعلى نفقة الباشا صالح كيكيا درس المرحلة الثانوية في أديس أبابا ثم التحق بكلية المعلمين هناك أيضا وأتم بها الدراسة .

وعند عودته من أديس أبابا تم تعيينه أستاذا بالمدرسة التي درس بها في حرقيقو . وفي مطلع الخمسينات من القرن الماضي تم تعيينه مديراً لنفس المدرسة .

أثناء دراسته في أديس أبابا تعرف سبي على الكثيرين من أبناء القوميات المقهورة والمهمشة في أثيوبيا مثل الأورومو ، الهررين ، الصوماليين وغيرهم .

وبالتعاون بينه وبينهم فقد قاموا بتأسيس " جمعية العروة الوثقى " للدفاع عن حقوقهم . وفي هذا المناخ بدأ ينضج وعيه السياسي . وهو ومعه هؤلاء كتبوا عهداً وميثاقاً بدمائهم ، وهو عبارة عن مبادئهم للدفاع عن حقوقهم . كما أن المرحوم شقيقه محمود سبي كان من ضمنهم وقد حكى لي ذلك بنفسه وليس على لسان شقيقه عثمان .

كان عثمان سبي مهتماً بالتعليم منذ أن كان أستاذا ومديراً بمدرسة كيكيا باشا في حرقيقو . وعندما رأى بأن فرص التعليم في ارتريا شبه معدومة نتيجة السياسة الأثيوبية فأنه شرع في تهريب بعض طلابه من قرية حرقيقو الى مصر . وكان يبعث بهؤلاء الطلاب إلى السودان سراً ، حيث يقوم الأخوان المسلمون هناك باستقبالهم وتسهيل مواصلة سفرهم إلى مصر من أجل التعليم . وكان الأستاذ صادق عبد الله عبد الماجد زعيم الأخوان المسلمين بالسودان أطال الله في عمره على علاقة بعثمان صالح سبي منذ أيام " العروة الوثقى " وكان يقوم باستقبال هؤلاء الطلاب وإيوائهم ومن ثم مساعدتهم لمواصلة سفرهم إلى مصر.

ومن طلابه الذين كان قد بعث بهم إلى مصر آنذاك فبعضهم قد رحل عن الدنيا والبعض لازال على قيد الحياة ، وآخرون منهم يعملون حالياً في مفاصل دولة إرتريا المستقلة)) .

ويضيف المناضل ناود : ((وقد تعرفت عليه عن قرب ، فعرفت فيه مثقفاً ويجيد اللغتين العربية والإنجليزية بطلاقة وكان متمكناً منهما قراءة وكتابة وحديثاً ، وبجانب ذلك فقد كان يتحدث التجري والتجرينية والأمهرية . كما كان قارئاً نشطاً في أمهات الكتب ، ومتابعاً للصحف والمجلات العربية والإنجليزية مثل مجلة " نيوز ويبك " الأمريكية والتي كان يواظب على قراءاتها ، كما كان يواظب على الاستماع إلى عدد من المحطات الإذاعية وفي مقدمتها إذاعة لندن ال **BBC** بشكل يومي ويعشق صوت المذيعة مديحة رشيد المدفعي . وبالتالي كان ملماً بالأحداث العالمية ، وكل ذلك جعل منه متحدثاً لبقاً ، وفي أي

مجلس يحضره كان يجذب اهتمام وأسماع وإعجاب من يجلس إليهم . أيضاً كان يتذوق الأغاني عموماً وأغاني فيروز على وجه الخصوص ويحمل شرائطها معه دوماً . بل وكان يعشق السينما والمسرح)) .

من المعروف عن الشهيد سبي انه كان يجيد القفشات وحب النكات والضحك بصوت عال وكل من يجالسه لايتوقع أن الرجل يمكن أن يحمل على عاتقه قضية شعب ومعاناة أمة وهو في هذه الحال من الانشراح ، وهنا ربما أختلف كثيرا عن رفيقه ناود الذي يمتاز بالجدية والعبوس ، وعدم المرح ، والشهيد سبي كان يجد في كآبة صديقة ناود مادة للتندر والتفكه قائلاً : ((... أن الحياة وما بها من مصاعب لا تتطلب هذا العبوس والجدية التي تلازمك دوما حيث لا أراك ضاحكا ، فساعة لربك وساعة لقلبك ، فاضحك للدنيا تضحك لك . موتوا بغيظكم أيها العابثون فجميعكم ستموتون قبلي وأقوم بدفنكم وأنت احدهم ثم ارفع لكم التحية وانصرف عن المقابر واذهب لحالي إلا أن ما سيتعبني هو كتابة رثاءك شخصيا لتقديري لك وللمزايا الكثيرة التي تتمتع بها) إلا انه رحل عن الدنيا مبكرا وهو في الخمسينات من عمره ، وهذه حكمة الله في خلقه (وجعلنا لكل اجل كتاب)) .

يقول المناضل ناود ، أثناء زيارتي لألمانيا الشرقية في عام 1977م من أجل البحث مع الألمان في مسألة الحل السلمي للقضية الإرترية التي كانت مطروحة في ذلك الوقت ، ولهذه الغاية ذهبت قيادات الفصائل الإرترية ، ومن ضمنها تنظيمنا الذي كنت أمثله ، ومن المعلوم أن الدعوة وجهت لي شخصيا ولم توجه للشهيد سبي باعتباره رئيس التنظيم وأثناء الحوار سألتهم عن سبب عدم دعوة رئيس التنظيم الشهيد عثمان سبي ، وكان ردهم :

((بان سبي عميل لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية **c.i.a** فدافعت عنه ونفيت هذه التهمة قائلا : إذا كان رئيس التنظيم عميلا وأنا نائبه فبالضرورة أن أكون أنا أيضا عميلا مثله وأضفت (أن سبي رجل وطني ولا يهمه إلا نجاح قضيته ، وفي سبيلها يتعامل حتى مع الشيطان).

ويضيف ناود ((ولكن مسالة تهمة الـــ **C.I.A** كان يرددها آخرون في ساحتنا ضد سبي وأحيانا أمامه ، وكان سبي يتلذذ بتلك التهمة قائلا لمن يتهمه بها :

((ياجهلاء هل تعتقدون أن العمالة للـــ **C.I.A** مسالة سهلة ؟ أنها تحتاج لمؤهلات عالية ، وأنا أسعى للحصول عليها لتسخيرها لقضيتي دون أن أفوز بها حتى الآن)) . ثم يضحك .

ألا رحم الله شهيدنا بقدر ماقدم لشعبه وقضيته ، والصحة وطول العمر لرفيقه أبو الإصرار .

الشهيد الزعيم الوطني/سبي

سبي الثائر والإنسان

بقلم/إبراهيم قبيل

طلب مني الأخ /محمود ناود إن أساهم بكلمات عن الزعيم الوطني سبي في ذكرى وفاته الثالثة والعشرون كان يخيل لي إنني قادر على إن اخط كلمات تفي الرجل حقه بسهوله لذا أجبته بسرعة فالموضوع محبب إلى نفسي ولكن ما أن شرعت بالكتابة حتى توقف قلمي عن الكتابة لأنني احترت من أين ابدأ هل ابدأ من سبي الثائر الذي عرفناه؟ أم سبي الإنسان عايشناه؟ وظللت على حيرتي أياما قبل أن أكمل مقالي مما حدا بي أن استعين بالذاكرة وأعود إلى الوراء سنوات إلى مرحلة الكفاح المسلح وما تحمله من شجون كثيرة لعلي أجد من بين تفاصيلها ما يبدد حيرتي تلك وفعلا وجدت من بين ثناياها إجابة معقولة لأسئلتي المحيرة وهي إن سبي الثائر هو سبي الإنسان أيضا لا يمكن الفصل بينهما عندما تتحدث عن سيرته.

فهو كان يجمع بين المعنيين في آن واحد قلما تجد في سبي شخصية الثائر تطغى بعنفوانها وقوتها وصرامتها وحزمها واندفاعها وإقدامها وحماسها على سبي الإنسان بطيبته وعفويته وسماحته وابتسامته التي لا تفارق شفتيه هاشا باشا في وجه من يلقاه كبيرا كان أو صغيرا قائدا أو جنديا عاديا كريما لا يترد في تلبية حاجة خاصة لمناضل طلبها دون منا عليه ولا أذى طالما هو قادر على تلبيتها حتى لو كان من خصومه السياسيين يوما ما وقال فيه ما لم يقوله مالك في الخمر.

مثقف ثقافة موسوعية تجده في اغلب الأحيان بصحبته كتابا يقرأه عندما يخلو بنفسه أو منكبا يكتب مذكرة لجهة ما أو تقريرا لنشاط قام به ويرسله إلى زملاءه ليكونوا على اطلاع منظم بكل ما يقوم به لم يكن يركن إلى التقارير الشفوية التي كان التعامل بها صفه سائدة في الساحة حينها، أو تجده يكتب يومياته وانطباعاته كل يوم يسجل فيها كل ما جرى في يومه يقرءا كل الصحف التي تصدر في البلد الذي يقيم فيه حتى لو أيام معدودة ليعرف ما يجرى في العالم حينها كانت الصحف والإذاعات هي مصدر إخبار العالم الرئيسية

ومن الطرائف إن مساعده ومرافقة المناضل طلول كان يحضر له يوميا الصحف والمجلات حتى النسائية منها فهو لم يكن يجيد القراءة وبالتالي لم يكن يميز بينها.

كانت الآلة الكاتبة الصغيرة برفقته دائما يطبع عليها المذكرات الرسمية حتى لو كان على الطائرة مسافرا، كان باختصار شعلة من نشاط لم يكن يستسلم للدعة والكسل اللذيذ في أوقات فراغه بل يستغل كل دقيقة من وقته في عمل نضالي حتى تحين ساعة نومه كأنه في سباق مع الزمن يكون قبلها قد صلى صلاة الليل وقراء القران ونام ليصحو مع صلاة الفجر ويبدأ يومه بقراءة القران بعد الصلاة بعدها يبدأ دورة عمله النضالي اليومي.

كان سبي مثالا للإنسان المناضل المثقف الذي يحمل هموم شعبه إنما حل لم تكن متع الدنيا تشغل باله كثيرا عكس ما كان شائعا عند اغلب الناس نتيجة الدعاية من قبل خصومه السياسيين التي كانت تصوره على انه من الأثرياء الذي يملك أساطيل من بواخر وغيرها من الممتلكات والحسابات السرية في بنوك سويسرا ولكن عرف كثيرون حقيقته بعد وفاته والغريب بعد وفاته مباشرة وكما ذكر لي أحد الإخوان حضر الواقعة عندما فتحت حقائبه لم يجدوا سوى معجون أسنان وفرشاه ومفكراته الاثنتين وبعض أوراق رسمية وأختام التنظيم حتى أسرته الكريمة واجهت أياما عصيبة من بعده وخاصة بعد الاستقلال ولكن والحمد لله النخوة العربية كانت حاضرة .

كانت لسبي أيضا صداقات عميقة يحكمها الاحترام المتبادل والتقدير لشخصه مع الزعماء والأحزاب في مختلف الدول ولا سيما الإخوة العرب لا تزال صورة الشهيد سبي معلقة على جدار مكتب الأمير تركي الفيصل في قصره دون زعماء العالم الآخرين الذين كان يعرفهم الأمير بالطبع لان هذا الرجل كان يحب ارتريا والارتريين حبا جما ولا سيما الشهيد سبي الذي يكن له كثيرا من الاحترام والتقدير ، والمعروف إن للأمير تركي

الفيصل ادوار ايجابيه في انحياز المملكة إلى جانب الحق الارتري استكمالا لدور والده الملك فيصل وجده الملك عبد العزيز رحمة الله عليهما فالتحية والتقدير له.

لهذه الصفات وغيرها من المواقف والمبادئ التي كانت تتجسد في شخصه كنا لا نكترث حينما يحاول الخصوم السياسيين في تلك المرحلة الجميلة المليئة والغنية بمعاني الحرية والثورية التقليل من شان التنظيم/قوات التحرير الشعبية/ الذي ننتمي إليه حينها وهو نوع من (المكايدة السياسية في إطار الصراع الذي كان قائما بين التنظيمات حينها) بعبارة (جماعة سبي) أو قولهم لنا ساخرين (أولاد سبي) فسبي كان يمثل لنا رمزا وطنيا وثقافيا تتجسد في شخصه كل قيم ومثل المجتمع الارتري الأصيلة و معاني الهوية والوطن والحرية وكان لنا مفخرة.

ودارت الأيام وأصبح كثيرا منهم اقرب منا إلى سبي حيث عرفوه عن قرب .

لم يكن سبي خاليا من العيوب والمثالب مثله مثل أي إنسان أخر ولكن ما يميزه هو إن ايجابياته كثيرة وضخمة بحجم الوطن ويحتاج الحديث عنها إلى مجلدات ولا أحد يستطيع إن يتطاول عليه أو يقلل من انجازاته حتى أعداءه لأنهم يعرفون تلك الحقيقة جيدا .

كان سبي يمتلك الحس والنفس القومي العربي ولم يساوم يوما بأمته العربية حتى عندما حاول الكيان الصهيوني أجراء لقاء معه بوساطة أروبية مقابل استخدام النفوذ اليهودي في العالم الغربي لتغيير مواقفها اتجاه الثورة الإرترية . رفض سبي حتى مبدأ الوساطة نفسها ناهيك عن قبول فكرة اللقاء مع وفد إسرائيلي .

هذا الموقف الحازم للزعيم سبي لم ينطلق من حسابات سياسية ضيقة بل موقف مبدئي وإيمان راسخ وانحياز كامل لقضايا أمته العربية ،وقد لخص إيمانه بأمته والمصير المشترك

بقوله لأحد الصحف العربية.

في احد زياراتنا إلى روما سألونا الطليان مره : ماذا يعطيكم اليسار العربي ؟

قلنا: الفتات .

قالوا: ماذا يعطيكم اليمين العربي ؟

قلنا: لا أكثر من اليسار

فقالوا: لماذا تصرون على التعامل مع العرب ولماذا لا تتفاهمون مع إسرائيل ؟

قلنا لهم: نفضل التعامل مع العرب لأننا عرب , فلا حاجز بيننا بين الاثيوبين سوى الثقافة .. أننا ننتمي إلى حضارة مختلفة وقد حارب الأحباش التعريب ألف سنة.

كان سبي زعيما لشعبه بحق وفارسا من فرسان الأمة... ساهم بجهد أكبر في تعبيد طريق الحرية.. صنع ثورة.. طرق كل الأبواب لتوفير طلقة لمقاتل حتى تستمر ثورة وكتابا وقلم وعلم لطفل ارتري مشرد ودواء وعلاج لمريض لاجئا .. صعد كل منبر ليعرف بقضية شعبه.. مشى على دروب مليئة بالأشواك من اجل إن يعبد طريق الحرية لشعبه.. أدميت قدماه وذاق الآلام الضنى.. ولكنه في النهاية بني مجدا لشعبه ووطنه.. ورحل من الدنيا فقيرا.

رحم الله أبا فراس وادخله فسيح جناته مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا بقدر ما أعطى لشعبه وأمته .

عثمان صالح سبي كان هو الثورة الارترية

د. خلف المنشدي

عندما غادر عثمان صالح سبي هذه الدنيا بسبب المرض فانه دون شك لم يغادر التاريخ فقد كان ولا يزال مفصلا أساسيا من تاريخ الوطن الارتري، دافع عن وجوده وطالب باستقلاله بمختلف الطرق وكانت مهنته الأساسية إن جاز لي تسميتها كذلك هي تحرير ارتريا وتحقيق استقلالها الناجز ، ويمكننا هنا توصيفه بلغة العصر الحالية بانه كان وطنيا بلا عنوان سياسي، بمعنى انه لم يكن مهتما بالتفاصيل، تفاصيل اليوم التالي بقدر اهتمامه بان تصبح ارتريا وطنا مستقلا كامل السيادة، واتذكر في لحظة من لحظات يأسه رمى أمامي بصورة ضابط ايطالي لا أتذكر اسمه الآن وصفه الفقيد الكبير بأنه صانع المشكلة الارترية لا لان الضابط الايطالي كان خصما للارتريين وانما كان من وضع اطار الوطن الارتري وبالتالي اعتبره عثمان صالح سببا في معاناة الارتريين، الذين كانوا يعانون الامرين وهم يطلبون العون من هذا وذاك.

لم يغادر عثمان سبي لا اليوم ولا في مئات السنين المقبلة تاريخ ارتريا فهذا المعلم السابق بمدرسة حرقيقو الابتدائية استطاع ان يخلق لنفسه مكانة مميزة بين قادة التاريخ الارتري، وتلك المكانة دون شك ستصبح في يوم من الايام مدرسة يتعلم منها ابناء ارتريا شرف الكلمة وطريق الانتصار على تلك الظروف التي عاشها الرعيل الاول من قادة الثورة الارترية، وان كان الفقيد عواتي فجر الثورة بخمسة بنادق صدئة بعض تلك البنادق الخمسة لم يكن بمقدوره اطلاق النار فقد كان سبي وريثا حقيقيا لظروف عواتي فهو الآخر جاء يبحث خارج ارتريا عن دعم لشعبها وثورتها غير المعروفة دفاعا عن البنادق الخمسة الصدئة، وكانت بنادقه السياسية والاعلامية في سني وصوله السودان ودمشق وعواصم العرب صدئة هي الاخرى انعكاسا لبنادق عواتي فقد كانت ثورة عواتي مجهولة تماما، وكان وطن عواتي خارج خارطة هذه الدنيا بعد ان اعتبرته اثيوبيا جزءا منها، لكن عثمان صالح الفارس لم ييأس ولم يقنط، وواصل قتاله داخل اروقة النظام العربي فكون عن طريق الدعم العربي اساسا واحدة من اكبر حركات التحرر الوطني في افريقيا استطاعت فيما بعد رغم انشطارها ان تحقق استقلال ارتريا رغم ان الفقيد الكبير لم يشهد بنفسه ذلك الحلم الكبير الذي كان سببا في معاناته الجسدية والتي ادت لموته.

من المهم الاشارة ان المعلم عثمان سبي طور قدراته الثقافية بشكل كبير وتحول الى واحد من اهم المثقفين الارتريين، كتب وأرخ لتاريخ وطنه وكتب الكثير من الابحاث عن ذلك التاريخ، وكان موته خسارة جسيمة لارتريا وهي التي لا تريد ان تتذكره بان تطلق اسمه على شارع من شوارع اسمرا او ساحة من ساحاتها او على الاقل شارع او ساحة في مصوع او حتى شارع في حرقيقو على اقل تقدير فكأن الاختلاف بالرأي لا زال قائما حتى بعد وفاة قائد من أطراف ذلك الخلاف ، وأي قائد هذا يا إخوتي أبناء ارتريا انه عثمان صالح سبي .

فضل عثمان صالح ان كان يحق لنا ان نسمي الدفاع عن الاوطان بالفضل كبير وعميم على مختلف نواحي الحقبة التي سبقت الاستقلال المجيد للشعب الارتري، وبالتالي فان هذا الفضل يجب ان يقابله فضل من قبل اخوتي حكام الوطن الارتري الحالي بان يتم تكريم الفقيد عثمان صالح لانه مؤسس قوات التحرير الشعبية التي ولدت من رحمها الجبهة الشعبية والتي حققت استقلال ارتريا، انه قائد الثورة الارترية في الخارج منذ ايام عواتي، انه الشخصية الارترية التي استطاعت دخول منازل الناس في الوطن العربي، انه الذي عرفنا بالثورة الارترية بعد ان كنا نجهل حتى وجود الوطن الارتري، فقد كانت ارتريا مجهولة للجميع فبذل عثمان صالح طاقة فريدة من اجل تعريف الناس بها، وعندما التقيته لاول مره وحدثني عن ارتريا لعنت جهلي، ومنذ ذلك اللقاء الاول تحولت ارتريا الى هم مشترك حملته كما حمله عثمان سبي بين ضلوعي كما هي بين ضلوعه حتى ووري الثرى.

عثمان صالح لم يغادر التاريخ الارتري ومن يريد ان يشطب او يمسح ذلك التاريخ فهو واهم لان التاريخ لايمكن مسحه او شطبه لانه هنا شاهد على افعالنا وعلى تركتنا والفقيد اصبح مفصلا من مفاصل التاريخ الارتري بحيث على الدارسين في المستقبل عندما يريدون دراسة تاريخ الثورة الارترية عليهم المرور بتاريخ الرجل فقد كان هو الثورة الارترية مع احترامي الشديد لمن يعاديه حتى وهو في قبره.

قد تبدو شهادتي مجروحة بهذا الرجل نظرا لان الناس في ارتريا وخارجها يعرفون عمق الصداقة التي ربطتنا ويعرفون باني احتفظ له باعماق قلبي وضميري بمودة كبيرة لن اتخلى عنها ابدا وهو ميت ولم اتخلى عنها وهو حي، ودفاعي هنا عنه ليس بسبب تلك المودة التي ربطتنا بل لاني على معرفة حقيقية بانه كان وطنيا حقيقيا مثل التاريخ الارتري القديم والحديث وقدمه للناس وعن طريقه انتصرت قضية الشعب الارتري على الاقل في الخارج.

تحية له في يوم ذكراه العطرة فهو حي في قلوبنا بإرثه وتاريخه وكفاحه من اجل الوطن الارتري الحبيب.

عثمان سبي ... الرجل والمواقف بقلم : احمد أبو سعدة

دّق جرس الباب لمنزلي ، وعلى غير عادتي ، فتحت الباب لأجد حسن كنتيباي ، مندوب التنظيم الموحد بدمشق أمامي وشكله غير طبيعي .. (خير ياحسن .. أول كلمة قلتها له

(أدخل) جلسنا سوية وكانت في يده سيكارة وحسن شاب مهذب ، ويعرف الأصول ، وبغض النظر عن كل ماقيل حول حسن كنتيباي ، فأنا أعتبره رجلاً أمينا ، من خلال عملي وإياه سوية ، (هل حصل لأولادك وزوجتك شيء لا سمح الله .. ؟ وأنقضّت الصاعقة (مات عثمان) .

وتسمرت في مكاني ، ولدقائق ونحن صامتان ، وقلت ، وقلت له (أمس مساء كلّمني صالح إياي ، وقال أن عثمان قد تعافى ، وسيغادر القاهرة إلى السودان ، (لقد توفي عثمان في يوم 1988/4/4م في مشفى السلام بالمهندسين بالقاهرة .

قال لي حسن كنتيباي (إن عثمان بعد أجراء العملية ، قام بتأدية الصلاة وحدث نزيف في أنفه ومن جراء هذا النزيف توفي ، هذا كل ماقاله لي صالح أياي على الهاتف .

قال : (أخبر أبا سعده) ، واتصلوا بي وأنا موجود في فندق (سونيتا بالقاهرة) .

وعلى الهاتف قال لي صالح اياي (تعال إلى هنا !) ، كان صالح صديقي الحميم ، وكان يريدني دائما إلى جانبه ، وأنا كذلك لكن الأمور لم تكن في صالحنا ، قلت في نفسي (ماذا سأفعل إذا ذهبت إلى مصر) ؟ وآثرت البقاء في دمشق مع حسن كنتيباي ، لنفكر ماذا سيحدث لهذا التنظيم غير المجيد ؟) .

رحمة الله عليك ياعثمان ، والله يساعد الشعب الإرتري ، رغم كل تصرفات عثمان سبي ، إلا أنه كان رجلا وطنياً عربيا ، ثقافة وعملاً ، والآن وقد مضت على وفاته تلك السنوات ، وأنا أعتبر وفاته بهذه الطريقة أمر غير طبيعي ؟ وكنت قد شككت بظروف وفاته وأطلعت الرفاق عليها .

هل سمعتم أن أنسانا يموت من جراء عملية جيوب أنفية ؟ إن عثمان كما أعتقد ـــ مات مقتولا ! والتاريخ هو الذي سيثبت صحة هذا الكلام أو خطاءه .

في يوم من الأيام كنت أنا وصالح أياي في السودان قال لي : (بماذا تفكر يا أحمد ؟) لم أكن أريد أن أخبره ، أو أثبط من عزائمه بأن هذا التنظيم ، أي التنظيم الموحد غير متجانس ، ولا أرى فائدة ترجى منه .

قلت له (الاترى الأوضاع السائدة في هذا التنظيم ياصالح ؟ أليس من الصعب أن يلتقي الأخوة الأعداء في تنظيم واحد ؟ .

وللمرة الأولى شعرت بأن صالح اياي تراوده فكرة التخلي عن العمل النضالي ، حيث قال لي : (والله يا أحمد أنا تعبت كثيراً لكن الوطن غالي) .

وأحسست بأن صالح يشعر ويعرف ، ماأشعر به وأعرفه ثم قال لي (أن الأخ عثمان سبي رجل وطني ، رغم كل تصرفاته ، وهو أفضل الموجودين ، وهو معروف ومقبول عربياً ودوليا ، وعلينا أن نعمل وإياه ، ولربما استفاد من تجاربه .

قال لي عثمان سبي (لقد صورتني كثيراً ولم أر شيئا من هذه الصور وأنا لدي آلة تصوير ، ولنترك الأخوان أن يلتقطوا لنا صورة سوية) .

ومشيت مع عثمان على شاطئ البحر

قال بلهجة هادئة لاتخلو من الحزن :

يا أحمد أن شهر رمضان المبارك قادم ، وأنا أريد أن أمضي هذا الشهر الكريم مع عائلتي وأولادي في دمشق ، فأرجو أن تعمل جهدك ، ليسمحوا لي بدخول سورية ، ولو لمرة واحدة في شهر رمضان ، حتى أقضي هذا الشهر مع عائلتي وأولادي ، أرجوك أن تعمل جهدك .

قلت له : (والله سوف أعمل جهدي ، وأنقل هذا الكلام إلى الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي الرفيق عبد الله الأحمر) .

وافترقنا على أن نلتقي في السودان ، بعد انتهاء عملي ، وقبل شهر رمضان ، عدت إلى دمشق وقابلت الأستاذ عبد الله الأحمر ونقلت له رغبة الأخ عثمان سبي .

فقال لي الأمين العام المساعد : (نرجو أن يحصل خير) .

لكن عثمان مات .

وقد سبقت يد المنية ، تحقيق أمله بزيارة دمشق أثناء شهر رمضان الفضيل ، رحمة الله عليه.

سبي العربي ـ الإرتري :

في يوم من الأيام سألني الشهيد سبي :

يا أخ أحمد ! إذا لم يلتفت العرب إلى إرتريا بشكل جدي ، فلن يكون لها الوجه العربي بعد الاستقلال ؟ !!

نعم ، صدق عثمان سبي في رؤيته للمستقبل ... هذا هو الموجود الآن في ارتريا ، لقد خسرنا ارتريا عربيا ولو إلى فترة من الزمن ، قصيرة أم طويلة رحمه الله .

لقد أتى من الساحل الإرتري العربي ، وإن قريته " حرقيقو " التي دمرّها الأثيوبيون ، وحرقوها ، كانت من المناطق المنظمة والمهمة في الثورة ، فلا عجب أن يخرج القائد عثمان من الجذور الشعبية ، ليقول الحق ويعمل من أجل بلده .

كان يعمل الشهيد مدرسا قبل أن يلتحق بالثورة ، ترك التدريس وقريته وألتحق بالثورة . وعندما كنا معا في (روما ــ ايطاليا) ذات مرة وكان مستاءاً ومتضايقاً وضجرا ، فقد كان يعمل ليلا نهارا دون ملل أو كلل ، كان يقول لي :

الوقت يا أحمد لايرحم ، وخاصة أن فرص نجاح الثورة ، بدأ يضعف لكثرة الانشقاقات .

حاولت أن أقول له :

أنت أول من عمل الانشقاق ، في الساحة الإرترية ، ولكن لم أقل هذا حتى لا أضيف على همه .

قال عثمان : أسمع يا أبو سعدة :

إن بروز إثيوبيا ألاشتراكية ، ودعم المنظومة الاشتراكية لها وقبل هذا كان المعسكر الغربي ، يدعمها فضلاً عن إسرائيل التي كان يصرح مسئولوها بأن أثيوبيا الماركسية ، أفضل من ارتريا العربية ، ولامجال لإعطاء البحر الأحمر إلا صفة واحدة (وهي إستراتيجية) وهو موضع تفاهم وصلة بين الوصفين في غير صالح القضية الإرترية .

هذا ما قاله لي عثمان ، في كل مكان التقيت به ، كان يحب سوريا كثيرا وسألته :

لماذا تحب سورية ؟

وأجابني على الفور : لأن سوريا هي أول من وقفت مع الثورة ، وأعطتها السلاح والخبرات .

كان يقول : الاستقلال قادم لا محالة ، وان تأخر .

لقد كان خائفا من الانحراف ، كما كان يقول دائما وكما أسلفت وذكرت .

في جلسة في روما ضمتني مع عثمان ، وكان بصحبته عمر برج وطه محمد نور قال عثمان:

اذهبا فأنا أريد أن أتمشى مع أبو سعدة ، وأضاف ضاحكاً : (ربما يريد أن يدبر لنا مقلبا جديداً) .

دخلنا إلى فندق / الأكسلسيور / صاحب النجوم الكثيرة ، هذه هي المرة الأولى ، التي أدخل فيها هذا الفندق ، والمعروف في ايطاليا والعالم بعراقته وجماله .

جلسنا في ركن منعزل وطلبنا " الكابتشينو " وتحدثنا ، أحسست من حديث سبي ، بأنه كان يثق بي ثقة تامة على الرغم من كل مافعلته معه .

وسألته :

ياعثمان ... ألا تسألني عن الأسباب التي دعتني للانحياز إلى جبهة التحرير الإرترية ! ألا تسألني عن الأموال التي أخذتها منك ، وأعطيتها إلى الجبهة ، بشكل مباشر أو غير مباشر .

ضحك وسأل :

أين ذهبت هذه النقود ؟ إنما ذهبت للارتريين ، إنها ليست في جيبك .

مرارات الشهيد سبي مع أشقاء العرب :

بعد سنوات التقيت مع الشهيد سبي في جدة ، وكان معنا الأخ صالح اياي ، اتفقنا أنا وعثمان وصالح أن نلتقي في مدينة كسلا ، بعد أسبوعين وأنا أسافر إلى دمشق وهم يسافرون إلى أحدى الأقطار العربية (....) وهناك يقبضون التبرع السنوي المقرر لجبهة التحرير الإرترية وهو عبارة عن مليون دولار ، ومضى الأسبوعان أتصل بي عثمان من هذه الدولة وقال لي :

لم نقبض حتى الآن ، ونحن منتظرون ، لاتتحرك من دمشق قبل أن نخبرك .

ومرت الأيام وتلتها الأسابيع والشهور ، وأنا في دمشق أنتظر وهم ينتظرون المبلغ ، كنت أتصل بهم هاتفيا كل فترة وكنت أسألهم :

ماذا تفعلون ؟ لماذا تأخرتم الآن ؟ لقد تشاجرت مع صالح أياي على الهانف وحين قلت له ماذا تفعلون لغاية الآن ؟ أهكذا اتفقنا ؟

إننا نلعب ؟؟!

وأقفل صالح الهاتف .

استمرت هذه الحالة ثلاثة شهور ، وهم يترقبون الفرج ، وأزفت الساعة ، وسلموهم الشك بمبلغ قدره مليون دولار ، ولكن الذي سلمهم الشيك قال لهم :

أعطوني شيئا ، وحدد لهم ماذا يريد / 25/ بالمائة عمولة . وافقوا ونزلوا إلى البنك ، يريدون صرف الشيك ، ليأخذوا نصيبهم ونصيب صاحبنا ، قال لهم المسئولون ، في البنك عليهم الانتظار ، حوالي الأسبوعين ، حتى يذهب ويعود الشيك إلى أمريكا .

وقالوا :

كيف ننتظر أسبوعين وما العمل ؟

أذهبوا إلى صراف خاص وهو يدبره لكم .

وأعطوهم اسم الصراف الخاص ، وذهبوا إليه فرحين ، انه سوف يساعدهم لوجه الله ، وشر البلية مايضحك ، قال لهم الصراف :

على رأسي وعلى عيني ، أنا أريد أن أخدمكم يا أخواننا الثوار ، لكني أريد عمولة وهي 10% .

وقبلنا لأنه ليس في اليد حيلة ، وأمرنا لله .

قبضنا المبلغ وعدنا إلى الفندق ، وحجزنا بالطائرة إلى تونس ، وعند مغادرتنا الفندق أتتنا فاتورة الحساب بمبلغ تساوي 15% من قيمة الشيك ، وتساءلنا (ألسنا نحن في ضيافة البلد) لا ... هكذا التعليمات ، ودفعنا الـ 15% من قيمة الشيك ، وغادرنا بما تبقى معنا وهو نصف المبلغ .

الحمد لله إنا خرجنا سالمين . ألا تصلح هذه القصة أن تكون حلقة تلفزيونية ؟

هكذا كان يعامل بعضهم الإرتريين .

ألا رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته

ذكرى الاستشهاد والانطلاقة

محي الدين علي

تتزامن الذكرى الثالثة والعشرون لاستشهاد المناضل عثمان سبي مع الذكرى الثانية لانطلاقة موقع (ناود للكتاب) ولم يكن هذا التوافق مصادفة فقد أردنا أن تكون الانطلاقة وذكرى الاستشهاد مناسبتين هامتين من خلالهما نؤكد على الاستمرارية وعلى المزيد من النضال على خطى الشهيد ولاسيما في الجانب الثقافي وجانب الكتابة والتدوين والتوثيق والذي أعطاه الشهيد الجزء الأكبر من حياته ، فإلى جانب النضال اليومي الذي كان يخوضه في صفوف التنظيم والثورة على الصعيد السياسي والعسكري ورغم مشغولياته الكبيرة والمتعددة فقد أولى الشهيد عناية خاصة بالتسجيل والتوثيق والنشر لعدد من الإصدارات الإرترية التي تمثل دون شك مراجع هامة لكل باحث ولكل دارس يود التعرف ليس على تاريخ وتجربة الثورة الإرترية وحسب بل وعلى التاريخ القديم والوسيط لإرتريا الشعب والوطن ، واحسب أن ذلك كان يمثل مرحلة متقدمة من الوعي والإدراك للشهيد من منطلق قناعته الراسخة أن المواطن المدرك لقضيته والمقاتل المتفهم لطبيعة نضاله وثورته وكيفية تمثله لأهداف الثورة هو الذي يمكن أن يعول عليه في استمرار الكفاح الذي يهدف إلى اقتلاع جذور الاحتلال من ربوع وطننا ويجنبنا مهاوى الانزلاق في الصراعات غير المبررة في صفوف الثورة ، وكثيرا ما كان يواجه بالنقد لاهتمامه بالجوانب الثقافية على حساب أصعدة أخرى وذلك من قبل بعض الجهلة ولعلهم أدركوا في مراحل لاحقة أهمية ذلك .

يعتبر الشهيد سبي من القيادات الإرترية التي تفردت بتسجيل يومياتها بشكل دائم مسجلا فيها الأحداث الخاصة والعامة التي تمر عليه ، بالإضافة إلى انطباعاته الخاصة عن الشخصيات التي يلتقيها في إطار نضاله اليومي ، وقد سنحت لي الفرصة للإطلاع فيما

سلمنيه أنجاله عن بعض الأوراق التي تتعلق بتلك اليوميات يبدو ومن أسلوب صياغتها واضطراب تنسيقها وخطها ومباشرة أسلوب الكتابة فيها ، يبدو أن الشهيد لم يكن يعدها يوما للنشر بل ولا أظن أن خطر في باله يمكن أن يطلع عليها أحد نظرا للتعمق في الخصوصية الشخصية والعائلية لبعضها ، بل كان يكتبها لنفسه مسجلا فيها خواطره وأحاسيسه بشكل مرهف ربما كان ينفّس من خلال تلك الأسطر عن الكثير من حالات الكرب والضيق التي كانت تنتابه من معاناة شعبه تحت ظل الاحتلال ومجاهداته مع رفاقه ، وكانت تلك اليوميات والتسجيلات بمثابة اعترافات يدلي بها لنفسه فتأتي مصداقا لحياته وتفكيره . ومع ذلك يمكن أن أؤكد أن هناك الكثير الكثير الذي لم يسجله الشهيد طوي في صدره باستشهاده لأنه كان يردد دوما أن هناك الكثير مما يود قوله وكتابته بمجرد انتصار الثورة حيث سوف يتفرغ للتأليف وكتابة مذكراته ويومياته .

كثيرا ما سنحت لي الظروف لمجالسة الشهيد في منزله بدمشق ، وكانت سعادته ظاهرة وهو يدعوك للجلوس إلى مكتبته التي تغطي الجدران كاملا ، حيث يطوف بك الشهيد بين رفوف تلك المكتبة العامرة بأمهات الكتب العربية والأجنبية والوثائق النادرة للثورة الارترية ويأخذك في حديث شيق عن مؤلف بعينه مسترسلا في تفاصيل الكتاب والكاتب ، وأنت لاتستطيع سوى التركيز والمتابعة والاندهاش أيضا نظرا للأعداد الكبيرة للكتب ودقة تنسيقها وتجليدها ، ولظرف ربما يمكن التحدث عنه في مرة قادمة طلب مني مرافقة صناديق معبأة بتلك الكتب والوثائق ضمن سيارة شحن عسكرية تابعة لقوات الصاعقة الفلسطينية متجهة نحو العاصمة اللبنانية بيروت حتى تحفظ في دارته هناك ، ولكن يبدو أن مليشيات الحرب الأهلية اللبنانية في حينه كانت قدرت إن هذه الصناديق صيد سمين وتم الاستيلاء عليها من منزله الكائن في كورنيش المزرعة وتم الدخول بشأنها في مساومات ومفاوضات وتم دفع مبالغ طائلة لاستردادها ولكن يبدو أنها أي تلك الوثائق وجدت طريقها إلى أجهزة الأمن الإثيوبية وربما لأجهزة أخرى التي دفعت مبالغ طائلة للحصول

عليها ، وكم كان الشهيد يبدي الحسرة والألم لفقدانها ، لأنه كان يقول هو لم يجمع تلك الوثائق وذلك الأرشيف إلا للآخرين الذين سوف يأتون من بعده يوما ما ويتمكنون من الاطلاع عليه والاستفادة من محتوياته . ومع ذلك لم تنثني عزيمة الشهيد في إعادة المحاولة لجمع الأرشيف مجددا وتكوينه من جديد .

وكما سبق وأن أشرت عند تجدد ذكرى استشهاد الزعيم سبي مايحزنني حقا هو عدم الالتفات والاهتمام للتاريخ الثر الذي خلفه الشهيد من أوراق ويوميات دون أن ترى النور وتبني أي جهة ارترية تنظيمها وترتيبها تمهيدا لنشرها ، لأن الواجب يقتضي أن نسكب هذا التاريخ الحي في وجدان شبابنا الصاعد الذي يجهل ماضي ونضالات الآباء والأجداد ماقبل الاستقلال ، وتعريفهم بيوميات الكفاح الذي سطره أسلافهم حتى ينعموا هم بوطن ترفرف فوقه رايات الحرية والاستقلال .

وهنا يجب أن تتضافر الجهود الخاصة لرفاقه وأبناؤه وتلامذته مع الجهود الحكومية وخاصة في الشئون الثقافية للجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة باعتبارها الجهة المنوط بها البحث والحفظ والتدوين لأي تراث للثورة الأرترية ، بل واي جهة ارترية ترى في نفسها الكفاءة عليها بالاتصال بذوي الشهيد من اجل الحصول على هذا الأرشيف ، وسوف نظل ننادي ونعمل من أجل أن يتم حفظ ونشر تراث شهيدنا الغالي .

عثمان سبي ... ثائر القرن الإفريقي

م . ع

www.nawedbooks.com

يصادف اليوم الرابع من أبريل ذكرى رحيله المبكر ، وغيابه ألقسري الذي جاء قبل أوانه ، أتأمل صورته في خشوع واضطراب ، .. أنه صخرة صلدة في وجه تلاطم الأمواج ، وصراع الحق والباطل ، وفي مواجهتها لكيد ألأعداء والمتآمرين .

أتأمل عينيه البراقتان في وحي الظلام الحالك ، وقد اشتعلتا شموسا وأقمارا تنير الطريق والسبيل لأجيالنا التي تسير بخطى حثيثة نحو التقدم والنماء ... فتلك بسمته المميزة والمعروفة والتي لا تفارقه دوماً ... أنه عاشق إرتريا والمسكون بحبها حتى الثمالة ولدرجة المستحيل ... ثائر القرن الأفريقي بامتياز قلّ نظيره ... فهو أبن أديس أبابا ، ومقديشو والخرطوم وأسمرا ، في نضاله وصراعه مع الباطل ... هو " أبو فراس " عثمان صالح سبي.

لقد كان شهيدنا من المناضلين القلائل ومن القيادات النادرة التي وعت لعمق وتجذر العلاقة السودانية الإرترية ، بل وأن السودان الحر الديمقراطي يمكن أن يكون سنداً وعوناً ومؤازراً للنضال الثوري الإرتري في مواجهته للاستعمار الأثيوبي الكهنوتي والذي كان يقوم عليه الإمبراطور هيلي سيلاسي والذي نشر الخراب والدمار في ربوع بلادنا بعد أن أفرغها من شعبها .

وبوصول مجموعة الضباط الأحرار بقيادة جعفر النميري إلى سدة السلطة في الخرطوم ، استبشرت الثورة الإرترية خيرا بتلك الخطوة واعتبرتها سندا لها في المواجهة المحتدمة بين الثورة الإرترية والإمبراطور هيلي سيلاسي ، خاصة وأن تلك الحركة كانت تحمل أفقا ثورياً عريضا ، وشعارات تقدمية براقة ، التقطتها كل القوى الثورية في العالم معتبرة إياها إضافة حقيقية لمعسكر القوى التقدمية في مواجهتها للقوى الإمبريالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة الاستعمارية .

والشهيد " سبي " بكل تأكيد كان أول الملتقطين لتلك الإشارات ، فهو يكتب للسيد فاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية (أعدم في يوليو 1972) ، بتاريخ1969/9/25م

أي بعد ثلاثة أشهر من قيام ثورة مايو :

((... منذ الخامس والعشرين من مايو وحتى الآن مضى ثلث العام على تحرككم الثوري المدعوم بقوى الجماهير الشعبية العريضة في السودان وقد شكل هذا التحرك طاقة أضافية دافعة لروح المقاومة الشعبية المسلحة في إرتريا .

أن ثورتنا ترى في السودان خلفية حضارية وبشرية وجغرافية لنضالها المستمر ضد قوى التوسع الإقطاعي الأثيوبي المدعوم بقوى الرجعية الأفريقية العميلة والولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية .

وقد كانت تجربتنا طيلة الفترة الممتدة منذ نشوء الثورة في سبتمبر عام 1961م والى حين قيام ثورة مايو غارقة في بحور السلبيات والتآمر المكشوف عليها وليس ببعيد عن ذاكرتكم حادث الاستيلاء على أسلحتنا في الخرطوم في شهر مارس عام 1965م)) .

الإستراتيجي بامتياز :

لقد كان يدرك الشهيد سبي بحسه الإستراتيجي ، أن وصول عناصر تقدمية إلى رأس السلطة في الخرطوم هو بمثابة الدافع والمهماز لنضالنا التحرري ، يمكن أن يدفع بالعملية الثورية خطوات هامة إلى الأمام ، ولكنه أيضا كان يدرك وبحسه الفطري ، أن هذه القوى الجيدة يمكن أن تواجه صعوبات جمة في حال الإعلان عن وقوفها المبدئي إلى جانب الثورة الإرترية ، خاصة وأن السودان يعاني من مشكلته المزمنة في ربوع جنوبه ، ومايمكن أن يواجهه من تدخل أثيوبي وصهيوني إلى جانب حركات التمرد الجنوبية في حينه ، وهنا يكتب الشهيد : ((... ضمن هذه المسألة الصعبة فيما بين مصلحة الثورة في السودان ومصلحتها في إرتريا باعتبارهما يواجهان تحالفا مشتركاً من الأعداء لايسعني إلا أن أقترح تعاونا سريا محكما بين الثورتين الإرترية والسودانية يغطي نفسه بالنسبة لأثيوبيا بمواقف

(شبه عدائية) من الثورة الإرترية لاتحرج موقف السودان في نفس الوقت مع القوى العربية والعالمية المؤيدة لثورتنا وعلى رأسها " كوبا " و " الصين الشعبية " و " سوريا " ويؤدي تماما إلى الغاية المستهدفة دون ضجيج)) .

ويضيف : ((... هناك ملاحظات يتوجب أخذها بعين الاعتبار حين التعاون " السري " المرتقب بين ثورتينا أن هناك مخطط تنشط في تركيزه كإستراتيجية متكاملة القوى الصهيونية العالمية وتقدم له التبريرات " الوكالة التلغرافية اليهودية " من خلال مؤسساتها في

" بالتيمور " و " واشنطن " و " تل أبيب " يقول واضعو هذه الإستراتيجية أن هناك إستراتيجية (سوفيتية ـــ عربية) لمنطقة جنوب السويس تهدف مستقبلا إلى الاستعاضة عن سد المنافذ البحرية الشمالية بوجه الملاحة الإسرائيلية بسد المنافذ الجنوبية المقابلة للشاطئين الإرتري واليمني . ويمضون في قولهم بأن البعث في سورية ومجلس قيادة الثورة في السودان مرتبطان بهذه الخطة السوفيتية من خلال تحريكهما للنضال الإرتري الذي يؤدي انتصاره إلى جعل البحر الأحمر " بركة عربية ")) .

المتطلع نحو العرب دوما ... ولكن !

منذ انطلاقة الثورة الإرترية بل ومنذ نشوء حركة تحرير إرتريا في نهاية الخمسينات ، كان النظر والتطلع إلى الأمة العربية باعتبار حركة الثورة الإرترية جزء لايتجزأ من النضال العربي الذي يهدف إلى تحرير الأمة من الاستعمار وبناء الدولة العربية الواحدة ذات الآمال والطموح المشترك لكل أقطارها ، والشهيد سبي كان الأعلى صوتا والأصدق تعبيرا عن ذلك الطموح الذي ظل يراوده حتى آخر يوما في حياته . وفي هذا الصدد يمكن أن نتذكر تصريحه الشهير في مطلع الثمانينات والذي يناشد فيه القادة العرب ، والذي نشر في واحدة من الصحف العربية الكبرى وبالخط العريض : (أعطوني مليون دولار وسوف أحرر إرتريا) ، ورغم أن هذا

التصريح كان يمكن أن يؤخذ في إطاره ولكن عمق الخلافات الإرترية ، وتفرغ قوى بعينها لمحاربة سبي وخطه ونهجه تم استقلاله بأسوأ صورة .

ومايؤكد قناعة الشهيد بالدور العربي الذي يمكن أن يكون مساندا ومؤزرا للنضال الإرتري ماذكره الأستاذ أحمد أبو سعده في حوار سابق له مع الشهيد سبي حيث يقول أبو سعده :

((سألني عثمان سبي بألم ، لماذا ، لاتقف الدول العربية معنا ، بوضوح وجدية أكثر ، باستثناء سورية والعراق ؟ من المستحيل أن تتركنا الدول الغربية والشرقية لحالنا ، وهي التي تعطي لنفسها أسماء كثيرة كالديمقراطية والملكية الدستورية والاشتراكية وغيرها .

ويتابع الشهيد سبي : السؤال الكبير أين فلسطين ؟ واليوم هناك ، توجه امبريالي لطمس ثقافة إرتريا ، فضلاً عن استعمارها ، فكيف لنا أن نرضى وأن نقبل بهذا الوضع ؟ الواقع الأليم ؟)) .

معاناة الشهيد سبي مع أخوته العرب من زعماء وقادة وعدم جديتهم في مساعدته يمكن أن نستخلصها من أكثر من موقف ، ولكن أوضحها كان من تلك الدويلة التي كانت تلتزم سنويا بمليون دولار للتنظيم ، وعند استلام الشيك هناك العمولة 25% في المائة يقتطعها الشخص الذي يقوم بتسهيل العملية ، والشيك لايصرق إلا بعد ذهابة لأمريكا وبالعودة يتم اقتطاع 10% من قيمته كعمولة ، ثم 15% من الشيك كأجرة للفندق ـــ مع العلم أن الشهيد هو ضيف على تلك الدويلة ـــ والغرض من مجيئه استلام المساعدة ، وأخيرا يغادر ومعه نصف المبلغ الذي تم رصده (كمساعدة لثوار إرتريا) . وهنا يسجل الشهيد في دفتر مذكراته ويكتب بمرارة بتاريخ 1982/5/26 : ((**إن إحدى الدويلات** (...) **التي العذاب لتدفع لنا مبلغا سنويا ، والأدهى إن إدارة المراسم في هذه الدولة كتبت تذيقنا الهيلتون تبلغه بإنهاء ضيافتنا ابتدءا من 17 الجاري ، ويبدو إن الإنسان يزيد بشاعة لفندق**

الذاتية كل ما زاد المال ، والحقيقة لولا إنني أعالج قضية عامة تتطلب التضحية بالكرامة الدولة)) . لغادرت الفندق والبلاد فوراً ولكن قضية إرتريا بحاجة إلى مساعدة هذه

لقد أرتبط الشهيد سبي بعدد من رفاقه في العملية النضالية وكانت بينهم صداقات ورفاقية ، ولكن علاقته بالمناضل محمد سعيد ناود كانت مميزة ، وهنا يمكن أن نقرأ ماكتبه الأستاذ أحمد أبو سعده : ((... كان الأخ محمد سعيد ناود ، أنسانا طيبا ، وله تاريخ طويل في الحركة الوطنية ، فهو من المؤسسين لحركة تحرير إرتريا ، كان صديقاً لعثمان سبي وهذا يتكل عليه كثيراً ، وأثناء تلك الفترة بدأت قوات التحرير الشعبية تنمو تدريجياً)) .

أما المناضل محمد سعيد ناود نفسه فيقول : ((... على الرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على انطلاقة الثورة الإرترية ، واحتدام المعارك الكلامية بين حركة تحرير إرتريا ، وتنظيم جبهة التحرير الإرترية والذي كان الشهيد سبي ركنا أساسيا فيه ألا أنه لم تتح لنا فرصة الجلوس والحوار والاستماع لبعضنا البعض إلا في العام 1970 ، وبعد ظهور بوادر الانقسام في الجبهة)) .

ويواصل المناضل ناود قائلا : ((عند ظهور إشارات الانقسام في جسم الجبهة بدأنا بالتواصل والحوار مع الطرفين من أجل تدارك الانقسام ومايمكن أن يشكله من حالة تراجع واضمحلال لنضالنا على الرغم من الخلاف العميق بيننا)) .

((وبعد أكثر من لقاء مع الشهيد سبي وبعض من رفاقه تيقنا بأن الطرف الذي يمثله هو الذي يمكننا أن نعمل معه وهكذا تم التلاحم بين حركة تحرير إرتريا وقوات التحرير الشعبية الإرترية)) .

بالإضافة لما هو منشور حول مؤلفات الشهيد لابد من الإشارة إلى تلك المقدمات لعدد من المؤلفات المترجمة من الإنجليزية والإيطالية إلى العربية والتي أصدرها الأعلام المركزي لقوات التحرير الشعبية والذي كان مقره في بيروت ، وكثيرا ماكانت تلك المقدمات لتلك الترجمات

تثري تلك المؤلفات وتزيل الغموض الذي يكتنفها ويصحح ماورد فيها من معلومات مغلوطة أحيانا، علما أنها كتبت بأقلام أوروبية تنظر للوضع في إرتريا من زاويتها الاستعمارية ولمصالحها والتي تبرر وجودها في إرتريا . أيضا مقدمات الشهيد تلك ، كانت بمثابة المهدئ الذي يمكن أن يخفف من ردود الفعل تجاه تلك المؤلفات خاصة عندما تتناول تلك الكتب قضايا اجتماعية أو قبلية كما في كتاب (إرتريا في أفريقيا الإيطالية) ، فالشهيد كثيرا ما أشار لذلك وأن كانت فطنة القارئ تدرك خلفية تلك الكتابات من حيث التوقيت الذي كتبت فيه ، والوضع السياسي والظرف الذي كانت تمر به إرتريا .

ومن تلك الكتب التي تم التقديم لها حسب ماهو متوفر لدينا :

1ـــ قصة الاستعمار الإيطالي لإرتريا ـــ تأليف محمد سعيد ناود 1971

2ـــ وثائق الأمم المتحدة حول إرتريا .

3ـــ وثائق الخارجية الإيطالية (جزء أول وثاني)

4 ـــ التركيب السكاني في إرتريا : تأليف ، س.ف.نايدل

5ـــ البعثة الإنجليزية إلى ملك الحبشة : تأليف ، جيرالد بورتال

6 ـــ إرتريا في أفريقيا الإيطالية : فردناندو مارتيني

7 ـــ إرتريا اليوم (1894) : أنريكو فوكيرا

ما يحزنني حقا إن المناضل سبي قد وكما سبق وأن كتبت في الذكرى العشرين لرحيله **كل عام تتجدد ذكراه دون أن رحل وبعد كل هذه المسيرة النضالية المشرفة ، رحل وفي أن ترى مدوناته ومفكراته يتطوع رفاقه وتلاميذه وأبناءه من خط كلمة عنه ومن دون طريقها إلى النشر ، هذا يحزنني أكثر من حزني على رحيله.**

وأنا اختم هذه المشاركة المتواضعة عن الشهيد سبي بمناسبة ذكرى رحيله الذي مر عليه 22 عاما ، انه لإجلال لهذا الرجل العظيم ، وتكريم لشخصه الكريم أن نرفع له تمثالا ونكتب تحته " الشمعة التي ذابت لتنير الدرب للآخرين " ، والتمثال لا اعني به لتخليد ذكراه المجيدة ـــ لأنه له نصب في كل القلوب ـــ بل ليكون المنارة والركيزة الأولى التي ينطلق منها أبناء شعبنا ليتعلموا كيف يكون النضال والكرامة في سبيل الوطن .

الكتاب : قصة الاستعمار الإيطالي لإرتريا

تأليف : محمد سعيد ناود

تقديم : عثمان صالح سبي (دمشق في 1971/2/13م)

إن الموقع الجغرافي لإرتريا على أبواب الجزيرة العربية وضفاف باب المندب جعل منها معبرا لحركة الشعوب المتباينة في هجراتها التاريخية عبر العصور المختلفة . وتركت تلك الشعوب سماتها الواضحة في المجموعة البشرية التي تسكن القسم الغربي من سواحل البحر

الأحمر بما فيها شعب إرتريا الذي تتمثل فيه التزاوجات التاريخية بين العناصر السامية والحامية والزنجية حتى يبدو وكأنه موزاييك للأجناس بمختلف قبائله ومعتقداته ولهجاته وألوانه .

ويعتقد كثير من المؤرخين أن قدماء المصريين هم من أصول سامية قدمت من الجزيرة العربية عبر باب المندب وارتريا واستقرت في وادي النيل .

وفي عهد دولة سبأ باليمن وماتلتها من دول وعهود توالت هجرات السبأيين والحميريين إلى الشاطئ الغربي من البحر الأحمر . ونقل النازحون الجدد قبل ثلاثة آلاف عام حضارة جديدة إلى المرتفعات الإرترية والمناطق المتاخمة لها فيما يعرف الآن بإقليم " تجراي " داخل الإمبراطورية الأثيوبية . ونظموا الزراعة على شكل مدرجات في سفوح الجبال على غرار نظام الزراعة في وطنهم الأصلي بهضبة اليمن الخضراء . وكانت أكسوم حاضرة مملكتهم ، ولاتزال المسلات المشهورة شاهدة على عظم حضارتها في مضمار البناء والتعمير .

وفي عهد البطالسة (أي قبل ألفين وثلاثمائة عام) أقام التجار المصريون البطالسة مرفأ عظيما عرف بأسم " عدوليس " على بعد **60** كيلو مترا جنوبي ميناء مصوع الحالي ، ويصفه المؤرخ الإنجليزي " باذل دافيدسون " في كتابه (إفريقيا تحت أضواء جديدة) ، بقوله : ((كان هناك مجتمع منظم أزدهر في هذه المدينة الكبيرة ذات المباني الجميلة والمعابد والحمامات والشوارع الواسعة والصواري . وقد كتب مؤلف " الكشاف البحري " يعجب لكثرة السفن العربية على الساحل الإرتري ويشيد بقدرة العرب على العيش مع الآهلين ، يتزاوجون فتختلط الأنساب ، ولايجد الخصام سبيلا بينهم وبين القوم ، تجيء سفنهم من الجزيرة العربية ومن كل صوب في المحيط الهندي بالخناجر والرماح والزجاج ، وتقلع تحمل العاج وقرون الخرتيت وجلود السلحفاة ، ورأى الرحالة الإغريقي في عدوليس في القرن الأول الميلادي عيشا رافها آمنا بعضه من بعض)) .

ولما غزا أبرهة الأشرم ، ملك الحبشة ، اليمن لإنقاذ نصارى نجران من أيدي اليهود بناء على طلب الإمبراطور جستانيان عاهل الإمبراطورية الرومانية البيزنطية ، أستأجر السفن من ميناء " عدوليس " . وظلت عدوليس مزدهرة حتى دمرتها قبائل البجة الحامية التي رفدت بأعداد كبيرة نتيجة الضغط العسكري عليها من جنوب مصر وشرق السودان بعد الفتح الإسلامي .

وفي القرن السادس الميلادي وبعد ظهور الإسلام في مكة المكرمة ، أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعرضوا لأذى كفار قريش . فخرج من مكة المكرمة في أول الأمر أحد عشر وقيل اثنا عشر , أربعة منهم متزوجون ، معهم نساؤهم . وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته أم كلثوم ابنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . وفق الله لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملتاهم لقاء نصف دينار ورست بهم السفينتان في بلدة " معدو " في الشاطئ الإرتري ومن ثم ساروا إلى الحبشة حيث أحسن النجاشي استقبالهم . ولم يكن هؤلاء الخمسة عشر إلا طليعة الموكب إذ تتابع المهاجرون المسلمون بعد ذلك حتى أكتمل منهم عدد ليس باليسير في كنف النجاشي الصالح .

وفي القرن الثامن الميلادي أحتل الخلفاء الأمويون العرب جزر دهلك وتبعا لذلك مدوا نفوذهم إلى المنطقة وتوسع داخل منطقة شمال شرق إفريقيا بأسرها .

يقول " جسمان جسلو في كتابه (غرائب أثيوبيا) ((أن مصوع والموانئ القليلة على البحر الأحمر أصبحت إسلامية في وقت مبكر ، وبعد تدمير " عدوليس " ازدهرت حضارة أسلامية في جزيرة " دهلك " بالقرب من مصوع في مستهل القرن الثامن)) .

وكانت المسيحية قد انتشرت في القرن الرابع الميلادي وعن طريق الكنيسة " الاكسومية " في المرتفعات الارترية على أيدي قسيس سوري من صيدا أسمه " فرمنتيوس " وبمساعدة

شقيقه " أديسيون " اللذين نجيا من سفينة يونانية غرقت على شاطئ " عدوليس " وأخذهما التجار إلى حاضرة أكسوم ، ونصبه بطريك الإسكندرية مطرانا على تلك البلاد ، ومنذ ذلك الحين ظل معظم مسيحيي ارتريا يتبعون المذهب الأرثوذكسي القبطي .

وفي القرون الوسطى كان معظم أراضي ارتريا تحكم بواسطة الزعماء المحليين للعشائر والأقاليم . ويقول أسبنسر ترمنجهام في كتابه " الإسلام في إثيوبيا " (أسست قبائل البجة خمسة ممالك مستقلة في غرب وشمال وشرق البلاد ، وكانت " باضع " أو " مصوع " ميناء بحريا له اتصالات تجارية مع سلاطين مصر) .

وعرفت المنطقة لدى المؤرخين العرب بأسماء مختلفة منها (بلاد الطراز الإسلامي) " تطرز الساحل الأفريقي بالدين الإسلامي بينما الدواخل على غيره " كما يقول المسعودي في كتابه معجم البلدان ، وعرفت أيضا ببلاد الزيلع وبلاد " الجبرتة " واليها ينسب عبد الرحمن الجبرتي.

وفي عام 1557م وكنتيجة مباشرة للاعتداءات البرتغالية على موانئ البحر الأحمر تمركز الأتراك العثمانيون في " مصوع " بعد أن هزم القائد التركي سنان باشا الأسطول البرتغالي الذي كان يقوده دون جوان دي كاسترو ، وفرضوا نوعا من الإدارة على الامتداد الشمالي للسهل الساحلي ، وتوغلوا إلى المرتفعات الإرترية وبنوا القلاع التي لاتزال قائمة في " دباروا " في مدينة سراي .

وفي نفس القرن بسط سكان " الفونج " في سنار بالسودان نفوذهم على مناطق " القاش وسيتيت " ومنخفضات " بركة " . بينما كان " رؤوس " " تجراي " يمارسون ظلا من النفوذ على بعض أجزاء الهضبة الإرترية .

وبعد فتح قناة السويس في عام 1869م أصبح البحر الأحمر أحدى الطرق البحرية الرئيسية في العالم ، وخلفت مصر الخديوية الأتراك العثمانيين وحلت محلهم على طول ساحا البحر الأحمر . ورفع العلم المصري بدلا من العلم التركي في (مصوع وكرن) ومنخفضات (بركة والقاش وسيتيت) وكذلك في " قرع " و " قندت " في الهضبة الأرترية .

وفي غضون الثورة المهدية في السودان انسحبت معظم القوات المصرية من ارتريا لكي تعزز مركزها العسكري في السودان ولكي تحمي مصر نفسها من الغزو البريطاني . وفي عام 1885م أحتل الطليان " مصوع " بتشجيع من بريطانيا التي رأت ــ خوفا على مصالحها الاستعمارية ــ أن تطور النفوذ الإيطالي في البحر الأحمر سيكون معاكسا للنفوذ الفرنسي الذي تمركز في ذلك الوقت في جيبوتي . وفي نفس الوقت ساوم البريطانيون إمبراطور أثيوبيا " يوهنس " لكي يساهم في إخماد ثورة المهدية في السودان مقابل " مصوع " و " كرن " ، حتى يتمكن من فرض سيطرته على إرتريا . ولكنهم خدعوه لصالح ايطاليا بينما قتل هو في معركة " المتمة " على أيدي المهديين في عام 1889م .

وفي أول يناير " كانون الثاني " عام 1890م وحد الإيطاليون جميع أراضي ارتريا سموها ارتريا نسبة إلى الاسم اليوناني القديم " سينوس أرتريوس " ، أي البحر الأحمر ، وظلت تحت حكم ايطاليا حتى هزيمتها عام 1941م في الحرب العالمية الثانية . واحتلت ارتريا قوات الحلفاء وظلت تحت الإدارة البريطانية حتى عام 1952م عندما فرض على ارتريا الدخول في اتحاد فيدرالي مع أثيوبيا بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة .

رأينا من الضروري تسجيل هذه العجالة التاريخية عن وطننا المناضل ارتريا في عهوده المختلفة حتى تتضح للقارئ صورة عامة عن مجمل تاريخ الفترة السابقة للمرحلة التي يعالجها المؤلف والمنحصرة في فترة دخول الاستعمار الإيطالي إلى ارتريا .

إن المؤلف هو مواطن ارتري ومناضل في سبيل حرية بلاده واستقلالها الوطني . وكان رئيساً

لـــ " حركة تحرير ارتريا " التي أسهمت في نشر الوعي السياسي بين جماهير ارتريا ، قبل أن تندمج الحركة في تنظيم الجبهة مؤخراً .

والأخ محمد سعيد ناود هو أول مواطن إرتري يقدم على تأليف كتاب عن تاريخ ارتريا واو أختص بمرحلة معينة من التاريخ ، نأمل كثيرا أن تمكنه الظروف من متابعة الكتابة عن التاريخ الإرتري خاصة وأنه في طليعة الشباب المثقف الشغوف بالبحث في خفايا التاريخ ، كما نأمل أن تشجع هذه المبادرة مواطنين آخرين ممن يتمتعون بالكفاءة أن يحذوا حذوه وينقبوا عن تاريخ بلادهم في بطون الكتب والوثائق التي تزخر بها المكتبات الأثرية في استانبول والقاهرة وروما وباريس ولتدن ، وبذلك تتضح للمواطنين الصورة الحقيقية عن ماضي آبائهم وأجدادهم ، كما تتوضح للرأي العام العالمي البراهين العلمية الدالة تاريخيا على ذاتية الكيان الإرتري المستقل ، وتدحض إدعاءات إثيوبيا الزائفة التي تحاول اغتيال الحقائق التاريخية لمصلحة مخططاتها التوسعية .

والله الموفق لخدمة الصالح العام .

الكتاب : وثائق الخارجية الإيطالية حول احتلال إرتريا

إعداد : لجنة تنظيم وثائق العمل الإيطالي في إفريقيا

ترجمة ونشر : البعثة الخارجية لقوات التحرير الشعبية

تقديم : عثمان صالح سبي 1977/12/1م

هذه الوثائق التي أصدرتها (لجنة تنظيم الوثائق الخاصة بالعمل الإيطالي في وزارة الخارجية) تتناول أحداث بداية الاحتلال الإيطالي لإرتريا في الفترة مابين أعوام 1883ـــ 1885م .

وهي عبارة عن المراسلات التي جرت بين كبار موظفي الدولة في مختلف المناطق والمواقع ، وتلك التي جرت أيضا بين الأطراف التي شاركت في صنع أحداث تلك الفترة ، وهي حكومات إيطاليا ومصر وإنكلترا وتركيا وفرنسا والحبشة .

وكانت رغبتنا أن نشرع في نشر الوثائق الإيطالية بترتيبها التسلسلي بدءاً من تلك التي تحتوي على أحداث الفترة الواقعة بين عامي 1859 ـــ 1883م . ثم أحداث الفترة الواقعة مابين عامي 1885ـــ 1903م . والتي انتهى فيها تشكيل " مستعمرة ارتريا الإيطالية " بالمعاهدة الإنكليزية ـــ الايطالية ـــ الإثيوبية التي رسمت حدودها الغربية بنهر سيتيت . إلا أنه لم يتوفر لدينا حتى الآن إلا قسمين من المجلد الأول ـــ ننشرهما في جزأين هذا هو الثاني منهما ـــ آملين أن نحصل على بقية المجلدات حتى نقوم بترجمتها إلى العربية ونشرها للقارئ العربي الذي لايعلم إلا القليل عن تاريخ هذه المنطقة المهمة لأمنه وسلامة بلاده .

وأهمية هذه الوثائق تكمن في كونها تفضح بأقلام المستعمرين أنفسهم ، الأساليب الكلاسيكية للاستعمار ، من خديعة ودس وأغراء وعنف وراء الإدعاء بنشر المدنية والعمران والأمن والتجارة . لنأخذ مثلا هذه الفقرة من برقية وزير الخارجية الإيطالي ، مانتشي إلى وزير الحربية ريكوني :

" بإمكان القائد الأعلى لقواتنا العسكرية في مصوع الاستفادة من خدمات السيد تشير مساعد الحاكم المصري في مصوع وهو ضابط برتبة مقدم في الجيش الإنجليزي ، سيحتج الضابط المذكور في البداية على احتلالنا مصوع ، إلا أن لديه التعليمات من حكومته باستقبالنا هناك وتقديم المعونة التي تلزمنا . "

هذه الفقرة وغيرها من الفقرات التي يتضمنها هذا الكتاب تعبر عن مدى السقوط الأخلاقي الذي تنحدر إليه الأساليب الاستعمارية . ولاعجب في ذلك فالاستعمار شر كلهُّ . ففي وقت يرد فيه وزير الخارجية البريطاني اللورد غرانفيل على السفير الإيطالي في لندن نيغرا ، بأن " مجلس الوزراء البريطاني لايستطيع أن يهب ما لايملك " نجده يعطي التعليمات للموظفين الإنجليز في خدمة الحكومة الخديوية المصرية الصورية بتسليم الأقاليم الخاضعة لمصر للحكومة الإيطالية ، فيتصرف الموظفون الإنكليز بالشكل الأزدواجي الذي تبينه هذه الفقرة .

يصح القول أحيانا " التاريخ يعيد نفسه " ، فقبل ثلاثة قرون ونصف (1513) تقدم البرتغاليون بنفس الأسلوب إلى السلطان أحمد بن إسماعيل ، سلطان دهلك ومصوع وملحقاتها بطلي أقامة علاقات تجارية مع إمارته التي عرفت بثروتها من اللآليء وتروس السلاحف وقرون الخرتيت والعاج وريش النعام . ومالبث هذا الطلب السلمي أن تحول إلى غزو مسلح واحتلال دان نحو أربعين عاماً حتى هزم الأتراك الأسطول البرتغالي واحتلوا مصوع في عام 1557م .

وتظهر مصر في هذه الوثائق طرفاً أساسياً في النزاع ، فقد حلت في ارتريا محل الحكم العثماني في عام 1866م بموجب الاتفاقية التي وقعها الخديوي مع السلطان العثماني في 1865/5/3م . ولم يكن السكان المسلمون يشعرون بأنهم تحت حكم أجنبي ، سواء أثناء الحكم التركي أو الخديوي المصري . لأن شؤونهم الداخلية كانت تدار بواسطة حكامهم الوطنيين . كما أن وجود دولة كبيرة كان يشكل عنصراً في مواجهة الغزوات الإثيوبية المتكررة وغزوات الدول الأوربية من جهة البحر . هذا علاوة على أن مفهوم الانتماء إلى

الدولة الإسلامية العالمية كان يطغى على ماعداه من مفاهيم القوميات التي نشأت في القرن التاسع عشر .

ويلاحظ في هذه الوثائق الصراع الفرنسي الإيطالي لكسب هؤلاء السلاطين والمشايخ وملوك الحبشة ورؤوسها وأستباحة جميع الأساليب في هذا السبيل كالأغراء بالأموال والخداع وأخذ تواقيعهم مستندين على جهلهم . ولنأخذ مثالاً على ذلك رسالة السلطان برهان ، سلطان رحيتا ، إلى وزير الخارجية الإيطالي مانتشيني حول بيع قطعة أرض في جنوب إرتريا ، يقول :

" إنني عندما اتفقت مع الدكتور سابيتو لم أكن أعني القرية المذكورة ـــ مارغابلة ـــ ضمن اتفاق الألفي ريال ، ويمكن أن أقسم على أنني لم أكن أعلم ماذا يساوي . والآن أرجو أنصافي وإعادة مارغابلة لي ، حفاظا على الصداقة بيننا ، وإني على ثقة من أن الحكومة الإيطالية لا ترمي إلى إلحاق الضرر بي " .

وما أكثر ما تبرز النزعة الطبيعية للحرية ومعارضة الاستعمار ، لدى الجماهير ففي التقرير رقم /434/ من الحاكم الإيطالي في عصب " بيستو لاتسا " إلى وزير الخارجية يشير إلى صعوبة احتلال الساحل الإرتري لشراسة أهله فيقول :

" إلى الشمال من بيلول وحتى مصوع تنتشر قبائل الدناكل ، وهناك حوالي عشر قرى رئيسية على امتداد الساحل يحكمها شيوخ هذه القبائل دون أي تدخل مصري . وذلك بعد فشل الحكومة المصرية في احتلال تلك المنطقة التي يتصف سكانها بالشراسة ، إذ من الصعب جداً أن يقبلوا أن تفرض أية حكومة حمايتها عليهم . لذا فتوسع الهيمنة الإيطالية على هذه المنطقة لايفيدنا كثيراً بسبب طبيعة سكانها " .

والحقيقة أن مقاومة الشعب الإرتري قد قضت على الرواد الأوائل للاستعمار الإيطالي الذين تمثلوا في بعثتيّ غوستافو بيانكي وجوفاني بيانكي ، وحيث تحججت إيطاليا بمقتل أفراد البعثتين لاحتلال المنطقة " لانعدام الأمن أمام التجارة والتنقل " .

ولما كانت بعثة بيانكي قد أبيدت بالقرب من بيلول فقد لجأ الطليان إلى القوة ، وفي هذا يقول دي مارتينو ، قنصل ايطاليا في مصر ، في برقية إلى وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ 1884/11/17م :

" إن سعادتكم يجب أن يعترف أن احتلال بيلول لايمكن أن يتحقق بوجود قطعة بحرية فقط ، بل يجب إنزال حامية فيها . وإني أثابر على الاحتفاظ بالشيخ سعد كأداة جيدة قادرة على تهيئة المناخ المناسب لنا " .

وتأكدت سياسة العنف الاستعماري حيال الشعب الإرتري من خلال برقية وزير الخارجية المؤرخة في 1885/3/12م إلى وزير الحربية ريكوتي ، حيث يقول :

" في حال قيام بعض زعماء القبائل المجاورة بأعمال عنف ضدنا ، فعلى قيادتنا قمعها بالقوة".

وسرعان ما بدأت إجراءات القمع عندما بدأت تمردات شعبية ضد الاحتلال الإيطالي ، وكانت النتيجة أن نصبت المشانق وارتكبت المجازر وأعد سجن نخرة في جزيرة دهلك ليستقبل مئات المواطنين من رواد الحرية والاستقلال .

وقد جرت الأحتاجات من قبل تركيا ومصر وفرنسا ضد الاحتلال الإيطالي لبيلول دون أي رد فعل عسكري . فمضى الطليان في زحفهم الحذر مع الاستمرار في التشاور مع بريطانيا .

وفي مكان آخر يؤكد وزير الخارجية الإيطالية بصفاقة أن عملهم هذا لايشكل احتلالا بل " يستهدف حماية النظام والأمن " . فيقول في برقية للسفير الإيطالي في استانبول بتاريخ 1885/2/13م : " تصريحاتنا وتأكيداتنا بصدد الطابع الوقتي لاحتلالنا وكذلك احترام العلم وسيادة السلطان قد كانت كلها واضحة . إن هدفنا ليس سوى الإسهام في الحفاظ على الأمن في هذه الأماكن ، وهي مهمة أعلنت مصر نفسها أنها عاجزة عن الوفاء بها .

وبعد ،

إن الشعب الإرتري ، وعبر صراع البقاء مدى القرون والأجيال ، أستطاع أن يحافظ على بقائه وأن يدافع عن وجوده . وهاهم الملايين الثلاثة من أبناء ارتريا ، في رقعة أرضهم التي لاتزيد عن 120 إلف كيلو مترا مربعا ، يناضلون بالحديد والنار ، منذ عام 1961م ، تحت راية جبهة تحرير إرتريا ، من أجل حقهم في الحرية والسيادة والاستقلال الوطني . بعد أن أسلمتهم المؤامرات الدولية للاحتلال الإثيوبي تحت ستار الاتحاد الفيدرالي ، وبحجة واهية هي منح إثيوبيا منفذاً إلى البحر الأحمر عبر موانئ إرتريا .

إن القصة لم تنته ... ونعني قصة الاحتلال الأجنبي لإرتريا . التي ترويها هذه الوثائق لحقبة من حقبات تاريخنا المليء بالنضال ، فلا يزال الاحتلال قائما ولايزال شعب إرتريا يقاوم ... وسيظل يقاوم حتى يجلو آخر جندي مستعمر وتشرق شمس الحرية ، والله الموفق .

الكتاب : إرتريا اليوم (1894) م

تأليف : أدولفو روسي

ترجمة : البعثة الخارجية لقوات التحرير الشعبية

تقديم : عثمان صالح سبيي (دمشق 1976/3/12م)

بين " ارتريا اليوم " وارتريا اليوم فارق زمني مداه حوالي الثمانين عاما / فالمؤلف ــ أدولفو روسي ــ الصحفي الإيطالي ــ قد زار ارتريا في عام (1849) أي بعد أعلن ملك ايطاليا أسم " المستعمرة ارتريا " بأربعة أعوام ، وفي فترة كانت منطقة شمال شرقي أفريقيا تعيش في حالة أضطراب وحروب ــ حرب الطليان والأنكليز والحبشة ضد

الحكومة المهدية في السودان ، وحرب المقاومة الوطنية الإرترية المتفرقة ضد الاحتلال الإيطالي ، وحرب المهديين ضد الإرتريين ، وحرب الحبشة ضد المصريين . وانعكست حالة الاضطراب هذه على أوضاع السكان الاقتصادية والحياتية بشكل عام ، فكانت المجاعات وكانت الهجرات الجماعية من منطقة إلى أخرى بحثا عن مأمن وطلبا للرزق . وكان سكان ارتريا بصفة عامة يميلون في هذه الفترة إلى مسايرة الطليان لمواجهة أعداء آخرين أكثر توحشا ، وبالأخص الاحتلال الإثيوبي الذي مثله رأس اللولا في المرتفعات الارترية وامتدت أصابع بطشه إلى مناطق السهول الغربية والشرقية غزوا ونهبا ، إلى جانب غزوات المهديين السودانيين الذين أعملوا السيف في رقاب الناس بلا شفقة ، فكانت المجازر في وادي بركة وسهول القدين .

وكما قلنا ، هناك فارق زمني قدره ثمانون عاما أو يزيد بين ارتريا اليوم وارتريا عندما سجل المؤلف الايطالي ملاحظاته . فارتريا اليوم مختلفة كلية عما كانت عليه آنذاك سكانها يزيدون على ثلاثة ملايين نسمة بينما لم يتجاوز عددهم آنذاك نصف مليون نسمة ، والأرض التي يسميها المؤلف " بورا قليلة الأمطار لاتصلح إلا للرعي وللمرور " وهي المنطقة الغربية : " أراضي بركة والقاش " عامرة بزراعة الموز والقطن ومختلف أنواع الحبوب تسقيها مياه النهرين الموسميين والنهر الدائم الجريان سيتيت " عطبرة " الذي يشكل احد روافد النيل الأساسية . والطرق العصرية تربط معظم المدن والقرى الارترية ، وتحسنت الأوضاع التعليمية والصحية والاجتماعية تحسنا ملحوظا مواكبة ركب الحضارة العصرية المنتشرة في أرجاء الدنيا .

والكتاب لايخلو من هفوات بعضها متعمد ، فهو أولا لايعدو كونه تحقيقا كتبه صحفي على عجل ، ولا يتوقع منه والحالة هذه أن يلم بكل أحوال الشعب الارتري في زيارة قصيرة دامت سبعة أسابيع سيرا على الأقدام في مساحة واسعة قدرها 119 ألف كيلو متر مربع . وبعض ملاحظاته عن سكان ارتريا وطباعهم وأحوالهم المعيشية يصفهم أحيانا

بالكسل وأحيانا بالتعصب واللصوصية والهمجية لاتزيد عن كونها تعبيرا عن شعور مستمر أوروبي متعال ومتغطرس في وقت كان الاستعمار الغربي في عنفوانه محتقرا حضارات الشرق وقيمه .

وعلاوة على ذلك فالمؤلف من المعارضة الايطالية التي كانت تطالب الحكومة الايطالية بالتخلي عن سياسة إحراز مستعمرات في إفريقيا وبخاصة " مستعمرة ارتريا " التي كانت موضع نزاع بين مختلف القوى المهدية السودانية وإثيوبيا وتركيا ممثلة بالخديوية المصرية وانجلترا وفرنسا لإحراز موطئ قدم في حوض البحر الأحمر وباب المندب بعد أن اكتسب هذا البحر أهمية دولية كممر مائي للتجارة بين الشرق والغرب اثر فتح قناة السويس في عام **1869**م . وهو العام الذي بدأ فيه الاحتلال الايطالي لإرتريا بشراء قطعة صغيرة من الأرض في عصب من السلطان إبراهيم لتكون محطة تزويد وقود السفن الايطالية . هذا فضلا عن المقاومة الوطنية التي كانت تستفيد من ملاءمة الطبيعة الجغرافية لحرب العصابات . وكانت حجة المعارضة أن ايطاليا التي كانت تعاني أزمات اقتصادية متلاحقة لاتستطيع معها أن تدخل ساحة المغامرات الاستعمارية بكل ماتتطلبه من جيوش واستثمارات . ولهذا يحاول المؤلف أن يظهر ارتريا كالبلد الفقير الذي لايستحق كل هذا العناء وخاصة بالنسبة لمرامي ايطاليا الاستيطانية . بينما يناقش تقرير بعثة مجلس الشيوخ الايطالي التي ترأسها فردناند دي مارتيني هذا التصور ويعطي صورة متفائلة للإمكانيات الزراعية الارترية .

ويذكر المؤلف أن الايطاليين نشروا الأمن في أرجاء البلاد وقضوا على قطاع الطرق وحكم على بعض منهم بالسجن في " نخرة " الموبوءة بأمراض الملاريا إنما أقيم ليكون معتقلا للوطنيين الأحرار الذين قاوموا الاستعمار الايطالي وقضى معظمهم نحبه هناك .

ويفضح المؤلف سياسة القهر الايطالية عندما يتحدث عن أساليب الطليان في معاملة الجنود الارتريين حيث يبرر بوقاحة على لسان احد الضباط الايطاليين " بان النظام والتربية تكون ضربا من المستحيل بدون استعمال الكرباج " ويتبجح أكثر عندما يقول بان " الجندي يحي الضابط بعد العقوبة ويذهب طليقا راضيا أكثر مما سبق إلى السجن " . انه هنا يتجاهل ابسط المشاعر الإنسانية ، فرد الفعل الغريزي ، حتى لدى الحيوان فضلا عن الإنسان ، للضرب والاهانة ليس الرضى وإنما هو الغضب والاستياء ، ومع ذلك فهو يؤكد إن ايطاليا إنما جاءت هنا حاملة رسالة التمدن ومشعل الحضارة ، وما أبشع الحضارات التي تبنى قيمتها على امتهان كرامة الإنسان واستغلاله .

والكتاب مع ذلك يتضمن معلومات هامة عن الصراع الذي دار بين المهدية والطليان في منطقة اغوردات ، ويتضمن سردا مفيدا للحالة التي كانت تسود ارتريا آنذاك .

ومن الطبيعي أن نؤكد أن ماورد في هذا الكتاب يمثل وجهة نظر كاتبه . وقد حرصت البعثة الخارجية على ترجمته حرفيا بدون حذف أو زيادة على أمل أن يفيد قراء العربية الذين يفتقدون المعلومات الضرورية عن هذا القطر الذي يناضل أبناؤه منذ خمسة عشر عاما بالمهج والأرواح للخلاص من براثن الاحتلال الإثيوبي بعد أن عانوا من الاحتلال الأجنبي منذ أن وطأت أقدام المستعمرين البرتغاليين في عام **1520**م الشواطئ الارترية مرورا بالاحتلال العثماني التركي ثم الايطالي والبريطاني .

الكتاب : التركيب السكاني في ارتريا

تأليف : س. ف . نايدل

ترجمة : جوزيف صفير

تقديم : عثمان صالح سبي (1974م)

نقدم هذا الكتاب الذي تمت ترجمته عن الانجليزية إلى قراء العربية في سياق محاولاتنا للتعريف بهذا القطر المناضل ـــ ارتريا ـــ والذي أوقعته المؤامرات الاستعمارية فريسة احتلال جديد تحت ستار الاتحاد الفيدرالي مع الإمبراطورية الإثيوبية وهو بعد لم يخلص من نير الاستعمار البريطاني الذي حل محل الاستعمار الايطالي اثر هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية .

والكتاب يعالج القضايا السكانية ويحتوي في مجاله معلومات مفيدة ولكنها لاتخلو من أخطاء بعضها متعمد أملته النظرة السياسية البريطانية للمشكلة الارترية آنذاك والرامية إلى تقسيم ارتريا بين إثيوبيا والسودان . ومع إننا نتفق مع الكاتب من أن ارتريا وبحكم موقعها الجغرافي كانت مسرحا دائما لموجات متتالية من الهجرات البشرية ـــ سامية ـــ حامية ، زنجية ، حتى يمكن أن يقال أن السكان هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية تطغى على ثقافتهم وملامحهم السمات السامية العربية ، إلا أن الانصهار على مدى التاريخ والترابط في إطار المصالح الاقتصادية المتشابكة جعل منهم كلا لايتجزأ .

وهذه السمة ـــ سمة التعدد ـــ لاتنفرد بها ارتريا وحدها ، فنادرا مايوجد في العالم قطر يتكون سكانه من سلالة عنصرية واحدة أو من تجمع ثقافي ولغوي واحد . فالتجانس في إطار التعدد سمة مألوفة في كل أقطار الدنيا .

ملاحظة أخرى مهمة هي أن الأرقام الواردة هنا سواء عن عدد السكان أو الموارد الطبيعية تستند إلى تقديرات ايطالية قديمة مضى عليها أكثر من نصف قرن وكانت تقدر عدد سكان ارتريا **800** ألف بينما يزيد عددهم الآن عن ثلاثة ملايين .

يستعمل المؤلف كلمة " رقيق " مرادفة لكلمة " تجري " وهي ترجمة غير صحيحة ، فالتجري كانت تعني الرعية أو المحكومين بالنسبة لطبقة الشماقلي أو النبلاء المالكين في مناطق الساحل وبركة .

وبالإجمال فان محتويات الكتاب تمثل وجهة نظر مؤلفه وليست بالضرورة تتطابق مع الواقع الموضوعي كما يعرفه الارتريون أنفسهم . ومع ذلك فإننا نأمل بتقديمنا هذا الكتاب لقراء العربية أن نكون قد أضفنا معرفة بأحوال ارتريا وسكانها . والله الموفق .

الكتاب : ارتريا في إفريقيا الايطالية

" انطباعات وذكريات "

تأليف : فرديناندو مارتيني

ملاحظات : عثمان صالح سبي (بيروت في 1975م)